جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الاتساق والانسجام النصي في سورة المدثر

الدكتور

فهد بن مناحي بن عبد الهادي السيحاني

الأستاذ المساعد بكلية العلوم والدراسات الإنسانية
في جامعة شقراء بالمملكة العربية السعودية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء الثامن

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

الاتساق والانسجام النصي في سورة المدثر

فهد بن مناحي بن عبد الهادي السيحاني

قسم اللغة العربية ـ كلية العلوم والدراسات الإنسانية في جامعة شقراء ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : Fmanahe@su.edu.sa

الملخص

يهدف البحث إلى إثبات اتساق النص القرآني الكريم (سورة المدثر) وانسجامه، معتمدًا التحليل النصي (اللساني) المعاصر. ويقصد بالاتساق النصي: التماسك بين أجزاء النص اللغوية، وهو يحيل إلى الأدوات التي تسهم في الربط بين أجزاء النص الداخلية من ناحية، وبين النص والبيئة المحيطة به من ناحية أخرى. وتحقق الاتساق النصي، من خلال جانبيه: الاتساق المعجمي، والاتساق النحوي. وتبيّن مدى الاتساق المعجمي ببروز عنصريه الرئيسين: التكرير والتضام. واتّضح الاتساق النحوي بعدة فعاليات تركيبية: الإحالة، والحذف، والعطف، والفصل، والإيقاع. وتبيّن كذلك تحقق الانسجام النصي، الذي يُعنى بقياس مدى التماسك الدلالي للنص وترابطه. ومن آلياته: العنوان (المدثر)، والفكرة الجوهرية للنص، وهي الإعلام بالتوحيد، والموضوعات الرئيسة فيه، والعلاقات الدلالية الخاصة، وهي: التقابلية، والسبب والنتيجة، والتعميم والتخصيص، والإجمال والتفصيل، وإعادة الصياغة. وتوصل البحث إلى أن تجليات الاتساق والانسجام النصي في المدثر بلغت مدى بعيدًا في التأثير الإيجابي على استيعاب المتلقي للنص، ولذلك نقول: إن السمات النصية قد تحققت تحققًا كافيًا يسوّغ وصف سورة المدثر بالنصية.

الكلمات المفتاحية : النص، الاتساق، الانسجام، التحليل النصي، المدثر.

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

Textual consistency and harmony in Surat Al-Muddathir

Fahd bin Manahi bin Abdul Hadi Al-Sihani
Department of Arabic Language, College of Science and Human Studies, Shaqra University, Saudi Arabia
Email: Fmanahe@su.edu.sa

Abstract

This study aimed at illustrating the consistency and harmony of the text of the Qur'an (Surat Al-Muddathir), relying on contemporary textual (linguistic) analysis methods. Textual consistency refers to: coherence between linguistic parts of the text; it also refers to the logical linksconnectingthe internal parts of the text, on one hand, and the text and the environment surrounding it, on the other. In this sense, it was found that textual consistency was achieved in the text of Surat Al-Muddathiron two levels: lexical consistency and grammatical consistency. Lexical consistency in the surat was manifested through using its two main components: repetition and alliteration. Whereas, grammatical consistency was manifested through using several synthetic means: referral, omission, conjunction, separation, and rhythm. Moreover, the study found that textual harmony, which refers to semantic and structural cohesion of the text and its interconnectedness, was achieved in Surat Al-Muddathir. The most important mechanisms of textual harmony used in the Surat include: the title (Al-Muddathir), the basic idea of the text, which is establishing monotheism, text's main topics, and the special semantic relations used, including: contrast, cause and effect, generalization and specification, outlining and detailing, and rephrasing. The research concluded that the manifestations of textual consistency and harmony in Surat Al-Muddathir were highly effective in leaving a positive impact on recipient's understandingof the text. Therefore, it can be said that: the textual features of Surat Al-Muddathir are sufficient to describe it as an extremely coherent text.

Keywords: text, consistency, harmony, textual analysis, Al-Muddathir.

بسم الله الرحمن الرحيم

أهداف البحث

تسعى هذه الدراسة إلى تقصي عناصر الاتساق والانسجام النصي في النص القرآني (المدثر)، من أجل البرهنة على فرضية أن النص متسق شكليًا ومنسجم دلاليًا. كما تسعى إلى تعميق الفهم العام للنص القرآني باعتباره نصًا لغويًا خصبًا لتفاعل المتلقي معه في هذا الإطار.

أسئلة البحث

1- ما تجليات الاتساق في نص المدثر؟

2- إلى أي مدى بلغ الاتساق، وما أثره على استيعاب البنية السطحية للنص؟

3- ما تمظهرات الانسجام في النص نفسه؟

4- هل تحققت السمات النصية في بعديها الشكلي(الاتساقي) والدلالي (الانسجامي) على وفق التحليل النصي (اللساني) المعاصر؟

منهج البحث

سيدرس البحث نص المدثر وفق مدخل بنيوي؛ أي بوصفه بنية نحوية تراتبية، أو من حيث هو تسلسل ونسيج، تسعى الظواهر اللغوية فيه إلى تنامي النص وتناسله وتضمن له استمراره (مانغو، 2008، 19)، أو وفق وظيفة محلل الخطاب، التي يعالج مادة الخطاب اللغوية بوصفها مدونة أو نصًا لعملية حركية، استعملت فيها اللغة كأداة توصيلية في سياق معين، للتعبير عن معان، وتحقيق مقاصد، (براون، 1998، 33)، مستعينًا بمفهومين مركزيين في لسانيات النص وتحليل الخطاب، وهما : الاتساق

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والانسجام النصي، وما ينطوي تحتهما من أدوات وعناصر جزئية، مع الإفادة من مفهومات ورؤًى في النقد العربي القديم؛ إثراء للبحث وتعميقًا، وكشفًا عن مواطن قوة النظرية النقدية العربية القديمة، بمعنى أن البحث سيحاول أن يدمج بين الرؤيتين المعاصرة والقديمة في دراسة اتساق النص القرآني وانسجامه، بهدف البرهنة على مدى الاتساق والانسجام فيه. مع التنبيه إلى أن البحث لا يهدف إلى تقصي خصائص النص في الألفاظ والتراكيب والمعاني، تقصيًا شاملًا كليًا، بغرض إثبات أنه يحوز على مقومات الخطاب الأدبي أو النصوصية، ولا إلى قياس ردود فعل المتلقي ودوافعها أو تأويلاته لتتكشف آفاق الانسجام النصي؛ لأننا نقارب نصًا إعجازيًا متسقًا في ذاته ومنسجمًا، فهو "في الذروة من أحكام الربط، كما كان في الأوج من حسن المعنى واللفظ، لكونه كلام من جلّ عن شوائب النقص، وحاز صفات الكمال" (البقاعي، 1984، 1 :12) . إذن لا دور للقارئ في صنع النص القرآني أصلًا، إضافة إلى أنه لا مجال فيه للضرب في معارج التأويل؛ تحرجًا من القول على الله بغير علم، لذلك سيلحظ القارئ كثرة الاستمداد من تفاسير عدة للقرآن الكريم. ويمكن أن يشار هنا إلى أن دراسة اتساق النص القرآني(المدثر) وانسجامه حَرية أن تؤكد وجهًا من أوجه إعجاز القرآن الكريم، لا يسعى البحث إلى بيانه مباشرة، وهو "أن عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف إليها: من ذكر قصص، ومواعظ، واحتجاج، وحكم، وأعذار، وإنذار، وتخويف، وأوصاف، ..." (الباقلاني، 1988 ، 54).

أهمية الموضوع

اختار البحث نص (المدثر) لعدم تناوله من باحثين آخرين، حسب علمي، ولأنه يكتسب خصوصية بين نصوص القرآن الكريم، تنبع من كونه سورة مكية في قول الجميع (القرطبي، 2006، 21: 354)، والأهم أنه من أوائل السور نزولًا (الرازي، 1981، 30: 189)، هذا إن لم يكن أول سورة نزلت على الإطلاق (الشوكاني، 2012 ، 1818). ولهذه الأولوية أثر في مضامين النص وأسلوبه، كما سيتضح لاحقًا. كذلك تبرز الأهمية من منهج البحث المتفرد قياسًا على الدراسات المماثلة؛ إذ أنه حاول في معالجاته، كما أشير آنفًا، استثمار أدوات في المنهج اللساني المعاصر وأدوات في النظرية النقدية القديمة، في حين أن تلك الدراسات التي اطلع الباحث عليها قد ركزت على المنهج اللساني المعاصر فحسب. كذلك حاول الجمع بين مفهومي الاتساق والانسجام لدى التطبيق، بخلاف كثير من الدراسات التي اقتصرت على مستوى وصفي واحد، وهو الاتساق أو المستوى الشكلي، (الجنابي، 2014، 1- 57)، أو على عنصر واحد من عناصر الاتساق. (مصدق، 2015)، وربما جمعت بين مفهومي الاتساق والانسجام في العنوان، ولكنها لدى التطبيق تخلط بينهما، ولا تتقصى جميع عناصرهما، (بورد، 2020، 474- 494).

خطة البحث

يحتوي على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة. عرفنا في المقدمة بالموضوع وأهدافه، وأسباب اختياره، ومنهج دراسته، والدراسات السابقة، وخطة البحث. وقصرنا التمهيد على إضاءة لمصطلح النص، والإشارة إلى ارتباط موضوعنا باللسانيات النصية، وأجلت الحديث إجرائيًا عن مفهومي

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الاتساق والانسجام إلى مبحثيهما؛ لتسهيل الفهم على القارئ. ويتناول المبحث الأول: الاتساق النصي، واقتصرت على تعريفه اصطلاحيًا، دون التعريج على التعريف اللغوي المعجمي؛ لكثرة تردده لدى الباحثين في هذا الإطار، وقسمناه إلى مستويين: معجمي، ونحوي، وتحدثنا عنهما بالتفصيل، والمبحث الثاني: الانسجام النصي، إذ عرفناه اصطلاحيًا، ودرسنا آلياته العامة والخاصة، ثم الخاتمة متضمنة أبرز نتائج البحث.

تمهيد

إن النص – سواء كان مرويًا أو مكتوبًا– حدث تواصلي (براون، 1998 ، 227) أو "مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة"(مفتاح، 2005، 120)، وليس هو مجرد بنية نحوية أكثر حجمًا من الجملة، أو سلسلة من الجمل، أي أنه عملية ذات بداية ووسط ونهاية، جوهرها التفاعل بين أطراف القضية، وهو تفاعل كفيل ببناء النص ونموه بشكل درامي. ودراسة اتساق النص وانسجامه تشكّل موضوع اللسانيات النصية، ويعتقد بأن الاتساق ينتج عن تسلسل الجمل وخطية النص، في حين أن الانسجام يعتمد على الاتساق، مع مراعاته للسياق ونوع الخطاب (مانغونو، 18). وسوف نرى أن مصطلحي الاتساق والانسجام يشكلان وجهين لعملة واحدة؛ بحيث يصعب عزل أحدهما عن الآخر في عملية التحليل النصي، إذ يتفاعلان معًا تفاعلًا يفضي إلى قراءة واضحة للنص، وإنما فصلنا بينهما إجرائيًا، لغاية بحثية، ليس غير.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول: الاتساق النصي

يقصد بالاتساق النصي "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/ خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجز من خطاب أو خطاب برمته" (خطابي، 1991، 4). والاتساق "يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي" (دي بوجراند، 1998 ، 103)، ويعد الاتساق شرطًا ضروريًا وكافيًا لوصف الخطاب بالنصية، وبدون تحققه لا يعد نصًا(خطابي، 12)، وهو يحيل إلى العلاقات والأدوات التي تسهم في الربط بين أجزاء النص الداخلية وبين النص والبيئة المحيطة به. (قيّاس، 2009، 28). وينقسم إلى اتساق معجمي، واتساق نحوي.

1 – 1 : الاتساق المعجمي

وهو ربط إحالي يقوم من خلال المعجم، ويكون بوساطة اختيار المفردات التي بينها إحالة أو علاقة معينة، حيث تتضافر الوحدات المعجمية على نحو منتظم يساهم في الربط بين أجزاء الجملة، ومن ثم الإسهام في بناء الدلالة الكلية للنص. ومن أهم مظاهر الاتساق المعجمي: التكرير، والتضام.

1-1- 2 : التكرير: وهو إعادة اللفظ الواحد بعينه (مطلوب، 2000، 410)، ويقوم بالربط بين أجزاء الخطاب، إذ تنتثر المكررات على مساحة النص، لتعميق الوظائف التداولية للعناصر المكررة وتأكيدها لدى المتلقين (خطابي، 179). ولا يعنينا هنا الكلام عن هذه الوظائف، وكل الذي يعنينا رصد المكررات خطيًا، ووفقًا لهذا الرصد يتبين للقارئ تلقائيًا مداها في

الربط بين أجزاء النص، من حيث إنها تدفع باتجاه الاستمرارية في الحديث عن الموضوع أو الشيء نفسه، وبالمستوى السابق، وهذا يزيد مقصدية النص وضوحًا وتوكيدًا. (بوقرة، 2010، 100). أهم أنواعه:

- التكرير المحض، وهو إعادة الكلمة نفسها، ومن أمثلته: الذي: وردت خمس مرات، ولفظ الجلالة (الله)- مَن: أربع مرات، وسقر- البشر- كلا- يوم- هذا- ما- قدّر: ثلاث مرات، وأهل- كل- ربك- هو- قتل- بل: مرتان. إضافة إلى تكرار الضمائر بأنواعها، كما سيتضح في جزئية (الإحالة).

- التكرير الاشتقاقي، تكرار كلمات تشترك في الجذر اللغوي: كبر/ استكبر- نقر/ الناقور- مهدت/ تمهيدا- أزيد/ يزداد- يشاء/ شاء- كان/ نك/ كنا- ذكر/ التذكرة / تذكره/ ذكره/ يذكرون- شفاعة/ الشافعين- نخوض/ الخائضين- يستيقن/ اليقين.

- التكرير المعنوي، أو الترادف وهو في حقيقته جزء من عملية (الاستبدال) في هذا المستوى المعجمي، وهو تعويض عنصر بعنصر آخر يؤدي المعنى نفسه (عفيفي، 2001 ، 123). قد يكون العنصر المستبدل به في آية لاحقة مباشرة للآية التي فيها المستبدل، مثل: عسير/ غير يسير، سقر/ النار/ سقر البشر / نفس/ امرئ. وقد يكون في آية بعيدة، مثل: رب/ الله، نفس/ امرئ، يوم الدين/ الآخرة، النار/ سقر، مما يقوي الصلة بين الآيات المتوالية والمتباعدة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

1-1- 3 : التضام: أو المصاحبة المعجمية، وهو توارد لزوج من الكلمات بينها علاقة ارتباطية معينة، (خطابي، 25) يتضح التضام من علاقات عدة، هي كالآتي:

- علاقة دلالية: تعني الائتلاف بين الألفاظ أو التراتب المنطقي بينها، بحيث يفضي أحدهما إلى الآخر عادة، ليؤلفان معًا موقفًا أو سلوكًا معينًا. وأهمها: سأرهقه/ سأصليه/ سلككم، عبس/ بسر، فكَّر/ قدَّر، أدبر/ استكبر. ويكمن الأساس الذي يربط بين هذا النوع من التضام في أنه يعبر عن عملين يتمّان في الظرف ذاته. على سبيل المثال: في رسم موقف الوليد من القرآن: {ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ} عبس:"أي قطب وجهه لما لم يجد مطعنًا في القرآن"، وبسر "أي كلح وجهه وتغيّر" (الشوكاني، 1817). فأنت ترى أن معنى الدالتين متقارب جدًا. وفي المعجم: "عبس يعبس عبوسًا وعبّس قطّب ما بين عينيه" (ابن منظور، 1993، عبس)، و"بسر أي نظر بكراهة شديدة" (ابن منظور، بسر). وقيل: "إنهما كالمترادفات، لكن العبوس قبل المحاورة، والبسور بعدها" (القرطبي، 2006، 21: 379)، بل قيل: "بسر يبسر بسرًا وبُسورًا: عبس" (ابن منظور، بسر) . ومثال آخر: {ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ}، "أي أعرض عن الحق، وذهب إلى أهله، وتعظم عن أن يؤمن" (الشوكاني، 1817). فالإعراض عن الحق وتسفيه صاحبه دال على الكبر والغطرسة دون شك. كذلك: {لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَر} قيل إن معناها "لا تبقي من فيها حيًا، ولا تذره ميتًا، تحرقهم كلما جدّدوا"، وقيل: "لا تبقي لهم لحمًا ولا تذر لهم عظمًا" (القرطبي، 21: 381). ومن ذلك علاقة الجزء بالكل، مثل علاقة سقر بالنار، فـ "سقر من أسماء النار، ومن دركات جهنم" (الشوكاني، 1818). ومنها كذلك علاقة (صعودًا) بسقر، ذلك أن الوليد "يكلف أن يصعد جبلًا من

نار". (الشوكاني، 1817)، ولذلك ذهب بعضهم إلى أن "سأصليه سقر": "بدل من قوله "سأرهقه صعودًا". (الشوكاني، 1818)

– علاقة تواردية: وهي ما يسمى لدى القدماء بـ (مراعاة النظير)، وهو الائتلاف بين الكلمات والتوفيق والمؤاخاة والتناسب بينها، (مطلوب، 614)، ذلك أن من الكلمات ما تنتمي إلى مجال دلالي متقارب، لما بينها من علاقة مكينة، كالاقتران أو الاستدعاء أو التلازم، كما بين: مال/ بنين، في آيتين متواليتين: {وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا}{وَبَنِينَ شُهُودًا}، فالمال يقترن بالبنين عادة لما يدل عليه حصولهما معًا من تمام النعمة، وكثيرًا ما يقترنان في القرآن في سياقات عدة (سورة الكهف، 46). كذلك علاقة الجزئية،كما بين (سِحر/ قَول). فالقرآن بزعم الوليد بن المغيرة: "كلام الأشرار منهم، والفجار، من كل كاذب سحار"، (السعدي، 1997، 830)، والقمر/ الليل، {كَلاَّ وَالْقَمَرِ}{وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ}، وعلاقة التناوب والاستبدال: تسعة عشر/ أصحاب النار/ ملائكة/ جنود. "والمعنى: أن خزنة النار، وإن كانوا تسعة عشر، فلهم من الأعوان والجنود والملائكة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه" (الشوكاني، 1820)، وعلاقة السببية بين: يطمع/ أزيد، فالطمع يفضي إلى طلب الزيادة، وبين: التقوى/ المغفرة؛ ذلك أن الله يغفر ذنوب عباده إن هم اتقوه وتجنبوا معاصيه، وسارعوا إلى طاعته. (الطبري، 2001 ، 23 : 463).

– علاقة تضادية: بين وحدات في السورة، منها ما يكون بين كلمتين في آية: يتقدم/ يتأخر، أو بين كلمات عدة في آية واحدة: المؤمنون/ الكافرون، يضل/ يهدي، يستيقن/ يرتاب. ويكون التضاد في آيتين متعاقبتين: الليل/ الصبح، أدبر/ أسفر، وحمر/ قسورة، فالحمر في هذا السياق القرآني

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تضاد قسورة، أو لنقل تخالفه وتناقضه، سواء كان معنى قسورة: الرماة أو الأسد (الشوكاني، 1822). وقد يرد التضاد في آيات متواليات في إطار حواري: أصحاب اليمين/ المجرمين، جنات/ سقر.

– علاقة اشتراكية: اشتراك أكثر من دلالة في كلمة واحدة، وهما من باب الاشتراك في اللفظ الذي يحتمل تأويلين يلائمان المعنى أو يؤديان المقصد. (مطلوب، 125)، مثل: كلمة (وحيد) في:{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}، أي "دعني والذي خلقته حال كونه وحيدًا في بطن أمه لا مال له ولا ولد، هذا على أن وحيدًا منتصب على الحال من الموصول... ويجوز أن يكون حالًا من الياء في ذرني، أي: دعني وحدي معه، فإني أكفيك في الانتقام منه، والأول أولى" (الشوكاني، 1817). وهناك كلمة بشر: {لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ}، التي يراد بها "إما جلدة الإنسان الظاهرة ... أو المراد به أهل النار من الإنس". (الشوكاني، 1818) . والمؤدى واحد في نهاية المطاف، وهو حصول العذاب بالحرق.

1 – 2 : الاتساق النحوي

تتضافر فعاليات تركيبية تساهم في تدرُّج النص، وتشدّ من اتساقه، أهمها: الإحالة، والحذف، والعطف (الوصل)، والفصل، والإيقاع.

1–2–1: **الإحالة**: أو البنية الإحالية في النص، وتطلق على قسم من الألفاظ التي لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في النص (الزناد، 1993، 118)، وهي إما إحالة نصية أو إحالة مقامية. ويفترض أن تعيّن كلتا الإحالتين المرجع، وتؤديان وظيفة

الاستحضار، مما يوثق الاتساق بين التراكيب اللاحقة والسابقة. (خطابي، 175).

1-2-1-1 : الإحالة النصية: وهي التي تُرجع الضمير وما في حكمه إلى مذكور قريب نحويًّا ودلاليًّا، و"يمثل العنصر الإحالي مكونًا يعوض مكونًا آخر، ذكر في موضع آخر سابق عادة، ويتيسر هذا التعويض بعمل الذاكرة في محتواها المشترك بين طرفي التواصل" (الزناد، 133). وقد رصد البحث ما يلي:

- لقد سادت النصَّ الكنائيات، وأهمها الضمائر المتصلة (الغائب- المتكلم- المخاطب)، والمنفصلة (هو- هي)، والمستترة (المخاطب- المتكلم- الغائب)، مع اسم الإشارة (هذا- ذا) والموصول(الذي- من)، فيما يسمى عودة الضمير وأشباهه، وذلك حين يُستبدل الاسم الصريح بضمير، ممّا ينتج عنه نوع من (التحويل الضمائري) الذي قد ينتج عنه لبس لدى القارئ، (مارتان، 2007، 50). وتمحورت الإحالة حول الجهات الآتية أو المرجعيات التي يستقيم عليها سياق النَّص ومعنى الآية: الرسول عليه السلام، الله جل جلاله، الوليد بن المغيرة، المجرمون، القرآن، سقر، خزنة سقر. وأسهمت في خلق جو اتساقي؛ إذ تحققت بها قرائن لفظية، كقرينة الربط (حسان، 2009 ، 213) بالضمائر العائدة على مذكور متقدم أو مفهوم، وقرينة المطابقة بين المعطوف والمعطوف عليه وهي(الضمائر) العائدة (حسان، 211)، مما أدى إلى ارتباط الآيات اللاحقة بالسابقة، وارتباط عناصر أكثر من آية في ما بينها. إضافة إلى ما أضفته الإحالة من تفاعلية بين أطراف الحوار أو جهات الإحالة، مما يدل على قضية جوهرية

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تعالجها السورة، سيأتي الحديث عنها لاحقًا، لكن لا بأس من الإشارة إليها هنا، وهي قضية الإيمان والكفر.

– إن أهم العناصر الإشارية أو المرجعيات التي ترتبط بها العناصر الإحالية وتتكثف حولها، وهي وحدات معجمية تشمل "كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن إشارة أولية لا تتعلق بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة" (الزناد، 115– 116)، ولا يحتاج إلى عنصر آخر يفسره، هي: الوليد بن المغيرة (١٤)، الله (١٣)، المدثر (١٢)، المجرمون(١٢)، الذين (٥)، القرآن الكريم (٤)، سقر (٣). أما العناصر: (النقر– تسعة عشر– ملائكة سقر– الكافرين– المؤمنين– الإضلال– وغيرها) فإحالة واحدة، ومن ثمّ يصح أن توصف بالإحالات الثانوية.

– إن العناصر الإشارية الرئيسة (المدثر– الله) قد ذكرت مرة واحدة في المقطع الأول، ثم جرت الإحالة إليهما بالضمائر في سائر النص، بعدها في المقطع الثاني ذكر: (من) الذي يشير إلى الوليد، ثم في المقطع الخامس، وهو الأخير، ذُكرت: (المجرمون)، ثم جرت الإحالة على كل عنصر إشاري منهما بكثافة في المقطع الخاص به. ولهذا يصح أن يطلق على هذه العناصر جميعها: عناصر عاملة؛ لأنها تحكم عدة مكونات إحالية وتفسرها (الزناد، 128).

– يمثل العنصر (المجرمون) أهم عنصر إشاري، لا من جهة كثافته، ولكن من جهة أن بعض العناصر الإشارية (الوليد– الكافرين) تتماهى معه، وبعضها متصلة به (سقر)، ولا غرابة في ذلك فهذا العنصر يشارك العنصر الإشاري (الله) سبحانه (وهو الباث أو المخاطب) في (مركز المقام الإشاري) (الزناد، 117)، بصفته متقبلًا أو مخاطبًا.

– أن أكثر إحالات ضمير الغائب إلى الوليد بن المغيرة، وأكثر إحالات ضمير المتكلم إلى الله عز وجل، وأكثر إحالات المخاطب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، مما يعطي مؤشرًا قويًا على الحضور المستمر والقوي في النص برمته لذوات معينة تمثل عناصر الخطاب وأطرافه، وهذا ما يقوي من اتساق النص.

– تنوعت الضمائر المحيلة إلى الله عز وجل: ياء المتكلم– تاء الفاعل– نا الفاعلين– الضمير المنفصل (هو)، وهي تسمى (إحالة معجمية)؛ لأنها تجمع الإحالات كلها التي تعود على مفسر دال على ذات أو مفرد(الزناد، 119)، مما يوحي بأهمية الموضوع الذي يعالجه النص، ومدى غضبه سبحانه من مواقف الكافرين من القرآن والإيمان، التي دلت على التمادي في الجحود والعناد والباطل.

– تكرر الاسم الموصول (من) خمس مرات، وهو إما يحيل إلى غير مذكور(إحالة مقامية): {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}، وإما إلى مذكور في النص: {كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء}، إذ تعود (من) الأولى على (الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ)، والأخرى على (الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) المذكورين في الآية نفسها (الشوكاني، 1820). وفي: {لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّر}، هي تحيل إلى البشر المذكورين في الآية قبلها أو إلى الناس (الطبري، 23: 446). كذلك في: {فَمَن شَاء ذَكَرَه} تحيل إلى البشر. أما (الذي) التي ترددت خمس مرات في آية واحدة: {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ...}، فلا تحيل على سابق، وإنما اجتلبت لتكون "وصلة إلى وصف المعارف بالجمل"(الجرجاني، 1992، 199)، وأحيل إليها بضمائر مذكورة في صلتها(الواو- هم). وأما (ما) في: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَة}، فأحيل إليها بضمير مقدر في صلتها(كسبته).

- اسم الإشارة، وهو من الكنايات التي تحدد مواقع الشخوص في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري(الزناد، 118)، وهي تحيل إلى عناصر نصية محددة، كما في: {فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُور}{فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِير}، فذلك "إشارة إلى النقر"(الشوكاني، 1816)، وكما في: {مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء}، فـ (هذا) تحيل إلى عدد خزنة جهنم (تسعة عشر)، وكذلك أحالت إلى "إضلال منكر هذا العدد وهدى مصدقه" (الجلالين، 1995، 576). أما الإحالة الخارجية (المقامية) ففي:{فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَر}{إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَر}، فاسم الإشارة (هذا) في الآيتين يحيل إلى ما جاء به الرسول وهو القرآن الكريم (الجلالين، 576).

- أدوات الإحالة التي تحيل إلى عنصر إشاري واحد، يكون ذلك العنصر متطابقًا معها: تأنيثًا وتذكيرًا، وإفرادًا وجمعًا، باستثناء ضمائر المتكلمين (بآياتنا- جعلنا) التي تحيل على مفرد (الله)، وجاءت إحالة الجمع إلى مفرد لغرض بلاغي وهو تعظيم شأنه سبحانه وتعالى.

- غالبا ما ينصرف الضمير إلى عنصر إشاري معين لسبب يفرضه نظم الكلام، أو السياق والمقام. ومن ذلك انصراف الكاف في:{وَرَبَّكَ فَكَبِّر}{وَثِيَابَكَ فَطَهِّر}...{وَلِرَبِّكَ فَاصْبِر}، والضمير المستتر (أنت) في{وَالرُّجْزَ

فَاهْجُرْ}{وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ} إلى المدثر الذي ذكر وحده في مطلع النص، وتواترت التفسيرات على تحديده، كما سيتبيّن في مستقبل البحث. وقد يحيل الضمير إلى سياق موسّع نسبيًا أو متعدد الاحتمالات، كأن ينصرف إلى عنصرين محتملين أو أكثر، كالكاف في: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ}، إذ يحتمل أن ينصرف إلى الرسول "وأي شيء أدراك يا محمد، أي شيء سقر" (الطبري، 23: 433)، أو إلى عنصر عام غيره، فالله سبحانه "كأنه قال: استعظموا سقر في هذه الحال" (الشوكاني، 1818)، ويحتمل أيضًا أن يعود (الكاف) إلى الوليد. وكذلك في: {وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ} انصرف ضمير الشأن المنفصل (هي) إلى النار أو سقر (الطبري، 441)، ويحتمل أن ينصرف إلى الدلائل والحجج والبراهين التي تؤدي إلى الإيمان بالله. (الشوكاني، 1820) . وإنما قلنا باحتمالية عودة الكاف إلى الوليد، وإن لم يقل به مفسر، حسب علمي، وبعودة (هي) إلى سقر؛ اتكاءً على السياق، فالحديث متصل بالمحتوى السابق، ولم ينتقل إلى موضوع آخر، وقمين أن تعامل على أنها إحالات ذات مدى إحالي قريب (عبد الكريم، 2009 ، 353)، سنتعرف عليها في الجزئية الآتية.

– وأهم تشكُّلات الإحالة النصية بحسب ما يعرف بالمدى الإحالي الزمني (خطابي، 173):

– الإحالة إلى عنصر إشاري متقدم مذكور في الآية نفسها، كما في: {لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّر}، فالكاف والميم في (منكم) تعود على الاسم الموصول (من) في أول الآية، التي يُكنّى بها عن الناس أو البشر المذكورين في الآية السابقة.(الشوكاني، 1821).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

– الإحالة إلى عنصر إشاري متقدم مذكور في الآية السابقة، وهي الأكثر، كما في:{وَرَبَّكَ فَكَبِّر}{وَثِيَابَكَ فَطَهِّر}... {وَلِرَبِّكَ فَاصْبِر}، فالكاف تحيل على المدثر المذكور في الآية الأولى. وكما في:{وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِين}{وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّين}{حَتَّى أَتَانَا الْيَقِين}{فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِين}{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِين}{كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَة}، فضميرا (نا المتكلمين، والهاء) تعود على المشركين وهم المجرمون المذكورون في: {عَنِ الْمُجْرِمِين} (الطبري، 23: 451). وكلها وفق المدى في الإحالة إحالات قريبة، وهي التي تجري في مستوى الجملة الواحدة، (الزناد، 123)، ووصفتها بالقرب لأن الإحالة إلى عنصر في الآية السابقة مقارب في المدى لمستوى الجملة الواحدة، خصوصًا أن الآيات قصيرات أفقيًا أو تركيبيًا. وقد تكون في الآية إحالتان: إحالة إلى عنصر في آية سابقة وإحالة إلى عنصر في الآية نفسها، كما في: {... مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء ...}، فـ (هذا) تحيل إلى العدد (تسعة عشر) المذكور في نهاية الآية السابقة، و(كذلك) تحيل إلى (الإضلال) في الآية نفسها: {وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء... الآية}. (الشوكاني، 1820).

– الإحالة إلى خطاب سابق، كما في جواب القسم، وهي الآية 35:{إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَر}، فالضمير الغائب(الهاء) يعود إلى (سقر) التي ذكرت في الآية 26: {سَأُصْلِيهِ سَقَر}(الطبري، 23: 444)، وفصل بينهما بثماني آيات، منها آيات تضمنت المقسم به. وهي إحالة بعيدة المدى نسبيًا؛ لأن مساحة الفصل قد طالت بين المحال والمحال عليه. (خطابي، 176). ولكنها

مع ذلك ليست إحالة مفرطة في البعد بين طرفي الإحالة، أو ليست من قبيل (الربط الخطي المنفصل) "وهو ربط عنصرين متباعدين في فضاء النص" (الزناد، 49)، وهو ربط يضعف من احتمالية صحة الإحالة، ولأجل ذلك نؤيد القرطبي في رده لإحالة بعض المفسرين الضمير المستتر (هو) في:{نَذِيرًا لِلْبَشَرِ} إلى عنصر (المدثر) المذكور في الآية الافتتاحية، معللًا ذلك بقوله: "وهذا قبيح؛ لأن الكلام قد طال فيما بينهما" (القرطبي، 21: 394). وعلى الأخذ برأي القرطبي، ومن خلال ما تضح من المعالجات السابقة للإحالات نخرج بنتيجة مفادها: أنه ليس في نص المدثر ما يخالف الأصل في الإحالة، وهو: "أن يجري تعيين المرجع أو المفسر ثم تجري الإحالة عليه بعد ذلك" (الزناد، 144)، أي إحالة سابق في آية متقدمة على لاحق في آية متأخرة عنها، كما أن الإحالات كلها جاءت مريحة للقارئ من عنَت التأويل، وبذلك تكون مسهمة في اتساق النص ووضوحه.

1-2-1-2 : الإحالة المقامية. التي تحيل إلى ما هو خارج النص وهو السياق المقامي، إذ تتخلل النسيج اللغوي للنص عناصر إحالية مضمرة الإحالة تعود على عنصر إشاري أو مرجع غير مذكور في النص، ويمكن التعرف عليه من سياق الموقف (دي بوجراند، 301)، وهي إحالة تربط اللغة بسياق المقام، ومن ثم تجعل المتلقي على صلة دائمة بموضوع النص، وظروفه وملابساته الحالية. (خليل، 1997، 137). وفي نصنا القرآني: نرصد إحالات مقامية متعددة، ويمكن تحديدها من أسباب النزول، كما في: {وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا}- {وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا} - {كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا}-{سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا}-{إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ}، إذ انصرف ضمير الغيبة (الهاء) إلى (مَن) في بداية المقطع:{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}، الذي يكنى به عن

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

عنصر إشاري غير موجود في النص، وهو الوليد بن المغيرة. (الشوكاني، 1817)، كذلك في: {... وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ...}، ليحيل (الذين) إلى أبي جهل والمشركين الذين سخروا من عدد أصحاب النار التسعة عشر. (الشوكاني، 1819) . وفي:{بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً} يحيل الضمير في (منهم) إلى كفار قريش. (الشوكاني، 1822)؛ لأنهم قالوا: "يا محمد إن سرّك أن نتّبعك فأتنا بكتاب، خاصة إلى فلان وفلان، نؤمر فيه باتبّاعك" (الطبري، 23 : 461) وفي:{كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ}{فَمَن شَاء ذَكَرَه} عاد ضمير الغيبة في الآيتين إلى القرآن الكريم (الشوكاني، 1822)، كذلك قد يحيل بعض المفسرين إلى المقام إحالات نصية، كما في: {إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ}، كالقرطبي حيث يقول: "إنها، أي: إن تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم لإحدى الكبر: أي لكبيرة من الكبائر" (21: 393)، وهذا في رأيي قول بعيد لا يخلو من عنت الإحالة؛ لأنه بُيّن سابقًا أن الضمير (الهاء) تحيل على سقر؛ فقرائن السياق والربط والمطابقة تعضد ذلك.

1-2-2: **الحذف**، ويكون المحذوف في نصنا على النحو الآتي:

– مرتبطًا بالعناصر اللغوية التي تسبقه، وهو الغالب، ويفهم من السياق، مما يجعله بدهيًا بداهة محضة، كما في:{سَأُصْلِيهِ سَقَرَ}، فالمحذوف: "كي يصلى حرّها" (القرطبي، 21: 381)، وفي:{لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ}، المحذوف لا تدع "شيئًا من لحم ولا عصب إلا أهلكته، ثم يعود كما كان"، (الجلالين، 576)، وكذلك:{عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ}، المحذوف "ملكًا، خزنتها"(الجلالين، 576). وفي: {لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ} يقدّر المحذوف كذا: "يتقدم في طاعة الله، أو يتأخر في معصية الله" (الطبري،

23: 446). ومنه {كَلاَّ بَل لاَ يَخَافُونَ الآخِرَةَ} فالمحذوف بعد (كلا) مؤداه: "ما الأمر كما يزعمون من أنهم لو أوتوا صحفًا منشرة صدّقوا... لكنهم لا يخافون عقاب الله" (الطبري، 23: 461)، وقس على ذلك الآية التالية لها المصدرة بـ (كلا): {كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ}: "ليس الأمر كما يقول هؤلاء المشركون في هذا القرآن من أنه سحر يؤثر، وأنه قول البشر، ولكنه تذكرة من الله لخلقه، ذكّرهم به". (الطبري، 23 : 462). وقد يرد الحذف البدهي مرتين في الآية الواحدة، كما في: {إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ} فـ "إنه فكّر فيما يقول في القرآن"، و"قدّر في نفسه ذلك"(الجلالين، 576).

– مفهومًا على وفق المقام والعناصر النصية معًا، كما في تلك الآيات التي لا تفهم إلا باستحضار موقف الوليد بن المغيرة من القرآن، مثل: {ثُمَّ نَظَرَ}فالمحذوف: "بأي شيء يرد الحق ويدفعه" (القرطبي،21 : 378). كما أن الآيات السابقة تشير إلى هذا المحذوف ضمنًا.

– مقدّرًا فيه المحذوف بناء على المقام المتعضد بتأويل لآية سابقة، كما في:{وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}، فالمحذوف كالآتي: "نخوض مع الخائضين في أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وهو قولهم– لعنهم الله– كاهن، مجنون، شاعر، ساحر" (القرطبي، 21: 398). ويقوي هذا التقدير أن الآية: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّر}، أوّلها الطبري، من ضمن ما أورد من تأويلات لها، كالآتي: "لست بكاهن ولا ساحر، فأعرض عما قالوا" . (23: 409)

– ومقدرًا بالخلفية المعرفية المتصلة بالنص، كما في: {... لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}، أي "صدق النبي صلى الله عليه وسلم في كونهم تسعة عشر" وكذا {وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا}، تقديره: "من أهل الكتاب تصديقًا لموافقته ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم لما في كتابهم" (الجلالين،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

576)، وكذلك يمكن تلمس الحذف في الأصناف المذكورة في الآية نفسها من كتب التفسير (الجلالين، 576).

وتلاحظ أن الحذف جاء في الشواهد السابقة لتحقيق أغراض معينة، كالاختصار أو الإيجاز، والحذف، كما نعلم، من أهم طرق الإيجاز(مطلوب، 205)، مع مراعاة الفاصلة. وقد يأتي لأغراض بلاغية أخرى لا تهمنا هنا. وأنت ترى أن المحذوفات ليست من تلك العويصات التي تخضع للحدس أو التكهن بالمحذوف، بل غدت – في ظل استحضار سياقات الآيات داخل النص ومرجعياتها الخارجية– أقرب إلى البدهيات التي باتت في حكم المنطوق به، أي تُحذف من الكلام، وتُراد في المعنى (الجرجاني، 302). وبهذا يكون الحذف مما وصفه (الجرجاني، 146): "ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة". وهذا بالطبع مما يسهم في تحقيق اتساق النص.

1-2-3: **العطف**، وهو عطف النسق أو ما يسمى في البلاغة (الوصل)، الذي يعد، مع قسيمه الآخر (الفصل)، من أسرار البلاغة (الجرجاني، 222). وفي العطف تتضافر قرينة التبعية وقرينة الأداة ومطابقة الحركة(تمام، 204). وسنتحدث عنه بشيء من التفصيل، لما له من حضور بطبيعته في أي نص، وأثر كبير على عملية اتساقه.

1-2-3-1 : أدواته، وتعد أدوات العطف وحدات لغوية (مورفيمات) تقيم علاقة بين وحدتين لغويتين، ومن ثم تسهم في اتساق النص. (مانغونو، 26)، وهي على النحو الآتي:

– الواو، وهي أكثر أدوات العطف استخدامًا في النص، وهذا طبيعي؛ لأنها تفيد مطلق الاشتراك والجمع في المعنى بين المتعاطفين(حسن، د.ت، 3: 557) فتعطف كلمات وجملًا يكون المعنى فيها "لفقًا لمعنى في الأخرى ومضامًّا له"(الجرجاني، 225)، كما في الآيات التي بينها علاقات توارديه أو دلالية، مثل آيات الأوامر في بدء النص، والآيات التي تعدد نعم الله على الوليد بن المغيرة، والأخرى التي تصف حاله مع القرآن: فَكَّرَ وَقَدَّر– عَبَسَ وَبَسَر– أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَر، وفي وصف سقر: لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَر. وتعطف الجمل المتضادة أو المتخالفة، كتلك الجمل في قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً... كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء}، وقد تعطف الشيء على مرادفه لتقوية معناه وتأكيده(حسن، 3 : 577) كما في: {هو أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَة}. وهكذا تحقق بالواو تنسيق الصفات، مع المنع من تكرار العوامل والمسندات الذي يؤدي إلى ترهل النص وتهلهله، خصوصًا أن المخاطب والمخبر عنه واحد، وهذا كله اختزال يزيد المعنى قوة وظهورًا (الجرجاني، 226)، ومن ثمّ يسهم في اتساق النص وانسجامه.

– الفاء، التي تنوعت في النص، ما بين زائدة غير عاطفة، وعاطفة، ويهمنا هنا الفاء العاطفة التي تفيد الترتيب مع التعقيب وإفادة الاشتراك (حسن، 3: 573)، كتلك التي جاءت لتربط بين كلمتين في آية ربطًا سببيًا: {قُمْ فَأَنذِر}، أو لعطف نتيجة على أسباب، كعطف: {فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّر}على {إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّر}، وكعطف {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِين} على: {وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِين} {وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّين} {حَتَّى أَتَانَا الْيَقِين}، أو العكس؛ عطف سبب على نتيجة، كما في :{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِين}، التي عطفت

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

على {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِين}.فالفاء في الآية الآنفة السبب، جاءت "لترتيب إنكار إعراضهم عن التذكرة على ما قبله من موجبات الإقبال عليها" (الشوكاني، 1822). وقد تدخل بين جملتين مترابطتين دلاليًا:{كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ}{فَمَن شَاء ذَكَرَه}، ذلك أن القرآن "يتذكر به ويتعظ بمواعظه ... فمن شاء أن يتعظ به اتعظ" (الشوكاني، 1822).

– ثم، معناها الترتيب مع التراخي،(حسن، 3: 576–577)، وتركزت في المقطع الآتي: {إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّر}{فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّر}{ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّر} {ثُمَّ نَظَر} {ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَر}{ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَر}{فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَر}. ولكنها هنا رتبت ردات فعل الوليد بن المغيرة بتتابع لا بتراخ، أي لم تنقض مدة طويلة بين حركاته وأفعاله تلك، فتكون حينئذ لمطلق الجمع، كالواو (حسن، 3: 578)، مع كونها أدت وظيفة (التوافق المنطقي) الذي يربط بين مضامين الآيات المعطوفات (العجمي، 2016 ، 391).

– بل، وردت في آيتين متواليتين:{بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً}، {كَلاَّ بَل لاَ يَخَافُونَ الآخِرَةَ}. صحيح أنها هنا حرف إضراب وابتداء؛ لدخولهما على جمل فعلية. (حسن، 3: 624)، لكن يمكن عدها أيضًا عاطفة في الآية الأولى، اتكاء على رأي الشوكاني الآتي: "عطف على مقدر يقتضيه المقام، كأنه قيل: لا يكتفون بتلك التذكرة بل يريد" (الشوكاني، 1822)، فربطها الشوكاني بما قبلها: {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِين}{كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ}{فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ}، فكأنها حرف الاستدراك (لكن). وتقاس عليها الآية الأخرى، وإن كانت (بل) فيها أقرب إلى العاطفة؛ لأن الآية في حقيقتها تعليل لسلوك المجرمين في الآية التي سبقتها.

– أو ، وتفيد التخيير والإباحة، وهي "ترك المخاطب حرًا في اختيار أحد المتعاطفين فقط، أو اختيارهما معًا" (حسن، 3: 604)، وجاءت مرة واحدة في قوله تعالى:{لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّر}، إذ جاءت بين متعاطفين متخالفين، وفي سياق يتضمن معنى الأمر (ليشأ منكم)، قال (الشوكاني، 1822): "من شاء اتبع طاعة الله ومن شاء تأخر عنها".

1-2-3-2 : أما تقسيم العطف بحسب التموقع، فعلى الأوجه الآتية:

– عطف كلمة أو جملة على أختها في الآية نفسها، ومنه:{إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّر}،{ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَر}{ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَر}،{لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَر}، فبين هذه المتعاطفات علاقات تضامية أو دلالية، سبق أن أشير إليها، أو علاقة تضادية:{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} الضمير المتصل الياء في (ذرني) يحيل إلى الله جل جلاله، في حين تحيل (من) على الوليد، وفي{لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّر}، أو تراتبية : {... اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَة}. وقد بُيّنت هذه العلاقات في مواضع سابقة.

– عطف جملة على جملة، وهو الأكثر في نص المدثر، ومسوغاته كثيرة ستتضح بالتفصيل في جزئية لاحقة.

– عطف جملة أو أكثر على مجموعة من الجمل؛ لأنها من باب عطف نتيجة على أسباب، وهو العطف السببي،كما في:{يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّر}{قُمْ فَأَنذِر}{وَرَبَّكَ فَكَبِّر}{وَثِيَابَكَ فَطَهِّر}{وَالرُّجْزَ فَاهْجُر}{وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِر}{وَلِرَبِّكَ فَاصْبِر}، فهي أوامر إذا ما عمل الإنسان بها تفادى النتيجة المتمثلة في قوله تعالى: {فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُور}{فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِير}{عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِير}.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- عطف قصة على قصة: إذ تعطف طائفة من الجمل على طائفة أخرى؛ لاشتراكهما في المخاطب، أو الاحتجاج، أو القضية (خطابي، 170)، كالمشهد الأول الذي يدور حول موقف الوليد من القرآن، وهو يبدأ من:{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}، وينتهي بتوعّد الله له:{سَأُصْلِيهِ سَقَرَ}{وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ}{لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ}{لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ}{عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ}. فقد عطف عليه المشهد الآخر:{وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً ...}. فمسوّغ العطف بين المشهدين الاشتراك في القضية والمخاطب، ذلك أن المشهد الآخر في حقيقته استطراد وتفصيل للأول، خصوصًا الآية الأخيرة منه؛ فقد سخر الكافرون من هذا العدد(تسعة عشر)، كما يتبيّن من قولهم الآتي: "أما لمحمد من الأعوان إلا تسعة عشر يخوفكم محمد بتسعة عشر، وأنتم الدَّهم، أفيعجز كل مائة رجل أن يبطشوا بواحد منهم، ثم يخرجون من النار؟"(الشوكاني، 1819)، فأخبر سبحانه عن نوعية هؤلاء التسعة عشر، وأثر الإيمان بهم أو عدمه على الأصناف المذكورين في الآية نفسها.

1-2-3-3 : مسوغات العطف

تعدّ مسوغات العطف وسائل مهمة في إدراك كيفية اتصال العناصر اللفظية والجملية بعضها ببعض، وهي مسوغات موضوعية الناظم لها علاقة سببية أو تبعية، أو أسلوب نحوي معين يجعلها تشترك في الدلالة والحكم الإعرابي، ويجمعها، حسب علم النص، (الربط الخطي التتابعي) بين الأحداث أو الحركات حسب تعاقبها على محور الزمن (الزناد، 46)، ومن تلك المسوغات التي تفضي إلى عطف الجمل والآيات على سابقتها:

- الأمر، كما في المقطع الأول من النص: {قُمْ فَأَنذِرْ}{وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}... {وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ}. ومعه شبيهه النّهي، الذي هو في حقيقته متضمن معنى الأمر، في المقطع نفسه: {وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ}، وجمع النهي مع الأمر في: {لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ ...}.

- النفي، كما في عطف جملة على أخرى في الآية نفسها، كما في وصف سقر: {لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ}، وعطف آية على أخرى، كما في قول المجرمين: {قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ}{وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ}، وكما في:{فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}، وهي محصلة نهائية أو نتيجة معطوفة على قول المجرمين السابق وغيره.

- النفي والاستثناء، وهما معًا من أدوات القصر والاختصاص (الجرجاني، 337)، وتكرر عطف جمل من هذا الطراز على بعضها أربع مرات في آية واحدة، في: {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً... وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ}. ثم مرة في الآية الأخيرة :{وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ}، التي انعطفت على: {فَمَن شَاء ذَكَرَه}.

- القسم، إذ جاء المقسم بهن في سياق متتابع، متعلق بسقر: {كَلاَّ وَالْقَمَرِ}{وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ}{وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ}.

- الاستفهام، وأداته هنا(ما) التي تختص بالسؤال عن غير الأشخاص (العجمي، 55)، وكل شواهده لا يقصد بها الغاية المباشرة منه، وهي طلب

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الإجابة عن السؤال، وإنما انحرفت إلى غايات أخرى، لا تعنينا هنا، ومن شواهده: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَر} إذ عطفت على:{سَأُصْلِيهِ سَقَر}، و:{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِين}انعطفت على: {فَمَا تَنفَعُهُم شَفَاعَةُ الشَّافِعِين}.

– التقرير، أي ذكر الحقائق والوقائع، ويأتي في سياق المجادلة وإثبات الحالات، كما في عطف الآيات التي يقرر فيها الله جل جلاله نعمه على الوليد بن المغيرة: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}{وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا}{وَبَنِينَ شُهُودًا}{وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا}{ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيد}. وهي نعم غزيرة أفاض في وصفها المفسرون(الشوكاني، 1817). وأيضًا في تلك الآيات التي اعترف المجرمون فيها بذنوبهم في الدنيا:{وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِين}{وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّين}. ومن التقرير أسلوب مراعاة الأحداث المتوالية تراتبيًا (العجمي،499)،مثل:{إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّر}{فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّر}{ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّر}{ثُمَّ نَظَر}{ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَر}{ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَر}{فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَر}. ففيها يعرض سبحانه حدثًا إنسانيًا حقيقيًا مرئيًا ومتدرجًا، يصور في مجمله مدى العناد والكفر الذي تملّك الوليد.

– التكرير الجملي، كما في عطف: {ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّر} على: {فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّر}، وهو تكرار "للمبالغة والتأكيد"(الشوكاني، 1817)، وكذلك عطف عبارة(مَن يَشَاء) على مثيلتها في الآية نفسها: {كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء}.

4-2-1 : **الفصل**: وهو رابط دلالي بغير أداة تظهر في البنية السطحية للنص، ومنه ما تسمى في علم النص الحديث (قاعدة الربط البياني)، وتنص على "أن كل جملتين متتاليتين في النص ثانيتهما بيان للأولى ترتبطان

ارتباطًا مباشرًا بغير أداة"(الزناد، 28)، ويُعزى الفصل في الفكر النقدي القديم إلى (كمال الاتصال) أو الاتحاد التام بين الجملتين (مطلوب، 550)، لعلاقات خفية قائمة بين جمل النص، وأهمها:

– كون الجملة الثانية "مؤكدة للتي قبلها ومبيّنة لها، وكانت إذا حصّلت لم تكن شيئًا سواها، كما لا تكون الصفة غير الموصوف، والتأكيد غير المؤكد" (الجرجاني، 227) ، كأن تكون الآية مؤكدة للسابقة تأكيدا لفظيًا ومعنويًا في الوقت نفسه، كما في الآية: {فَقَالَ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُـؤْثَر}، معناها أن الرسول "يأثره عن غيره ويرويه عنه" (الشوكاني، 1817) ، إذ تأكدت في الآية التالية لها:{إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَر}؛ لأنها تعني "أنه كلام الإنس، وليس بكلام الله ، وهو تأكيد لما قبله" (الشوكاني، 1818).

– كون الجملة الثانية أو الآية نتيجة تلقائية لما قبلها من أسباب، كقوله تعالى بعد الآيتين السابقتين: {سَأُصْلِيهِ سَقَر}، فقد استحق الوليد هذا الوعيد لقوله الشنيع السابق عن القرآن الكريم، وهو:{فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَر}، {إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَر}.

– كونها استئنافًا في بيان حال (سقر) (الشوكاني، 1818): {لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَر}[{لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَر}{عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَر}، في وصف سقر: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَر}.

– كونها تصدّر بأدة النفي (كلا) التي تحقق الربط عن طريق الاستدراك الذي يربط بين حالتين بينهما علاقة تعارض(عفيفي، 129)، إذ وردت أربع مرات بعد آيات تشتمل على قص، فمرة بعد آيات تعداد النعمة على الوليد: {كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا}، فبها "قطع للرجاء عما كان يطمع

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فيه من الزيادة، فيكون متصلًا بالكلام الأول" (القرطبي، 21: 374)، ومرة بعد سخرية الكفار من سقر وأصحابها التسعة عشر: {كَلاَّ وَالْقَمَرِ} فالله سبحانه "جعلها ردًا للذين زعموا أنهم يقاومون خزنة جهنم، أي ليس الأمر كما يقول من زعم أنه يقاوم خزنة النار" (القرطبي، 391)، ثم وردت مرتين بعد ذلك، الأولى في هذا السياق:{بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً}{كَلاَّ بَل لاَ يَخَافُونَ الآخِرَةَ}، فهي رد لقولهم في زجر وتقريع؛ إذ تعني "ليس يكون ذلك" (القرطبي، 21: 402)، أي الطلب الغريب، والأخرى: {كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ}، لتعني: حقًا إن هذا القرآن فيه الذكرى والهدى والموعظة. (القرطبي، 21 : 402).

– كونها تصدر بـ (حتى)، التي تفيد انتهاء الغاية، (حسن،3:580)، وجاءت مرة واحدة في سياق سردي:{وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}{وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ}{حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ}.

– كون الآيات بينها تكامل يشكل قصة أو مشهدًا حركيًا (دراميًا)، كما في:{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ}{إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ}{فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ} {عَنِ الْمُجْرِمِينَ}{مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ}.

– كون الآيات متصلًا بعضها ببعض نحويًا:{إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ}{نَذِيرًا لِلبَشَرِ}؛ لأنه حسن الوقوف على (نذير) فصار حالًا، كما تقول: "إنه لعبد الله قائمًا"" (الأخفش، 2003 ، 611)، كما أن اللام في{لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ}متعلقة بـ (نذيرًا)، فضلا عن الاتساق الدلالي البياني لهذه الآية مع سابقتها؛ إذ فيها "وعيد وتهديد وإن خرج مخرج الخبر". (القرطبي، 21: 395) .

5-2-1 : **الإيقاع**: يكمن تأثير الإيقاع الجمالي والنفسي في تكرار وحدات صوتية مُقنّنة، يتوقعها المتلقي، ويتأثر بها تلقائيًا. (ريتشاردز، 2002 ، 188). ومع أن الإيقاع لم يُركّز عليه في تلك الدراسات التي أصّلت لهذا المنهج اللساني، إلا أن الباحث ارتأى أن يضعه بإزاء عناصر الاتساق المعروفة، ويفرده بجزئية بحثية؛ باعتباره عنصرًا مهمًا ذا تأثير لا يخفى في زيادة الاستحضار لعناصر النص والربط بينها، كما سيتضح الآن. يتمثل الإيقاع في الآتي:

1- 2- 5 – 1 : ما يمكن أن نسميه إيقاعًا خارجيًا، لغرض القياس إجرائيًا على الشعر، ويتضح في:

- التقديم والتأخير في إطار الرتب غير المحفوظة(حسان، 207)، وهو إجراء لم يأت لمجرد تغيير الموضع، أو ما يسميه اللِّسانيون (الاقتلاع)، الذي هو استبدالات معتادة تطال أفقية العبارة، تفرضها طبيعة اللغة التي تأبى الحتمية المطلقة لبناء الجملة، (مارتان،2007، 161)، إنما جاء لمقتضيات فنية، كمراعاة الفاصلة، من ذلك تقديم الجار والمجرور: {عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِير}، و{كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا}، و{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِين}. وكتقديم المفعول به على الفعل وفاعله، كما في:{وَرَبَّكَ فَكَبِّر}{وَثِيَابَكَ فَطَهِّر}{وَالرُّجْزَ فَاهْجُر}.

- التنوع في الفواصل: ما بين رائية: 1- 13، 18- 37، ودالية: 14- 17، ونونية: 39- 49. ومع تكرر الفاصلة الرائية، كُسر تتابعها؛ بإلحاق تاء التأنيث: 50- 56: (مستنفرة، قسورة، ... إلخ)، إضافة إلى تنوع حركات الفواصل عند وصل الآية بما بعدها، حسب الترتيب الآتي: سكون- كسر- فتح- ضم- كسر- فتح- كسر- ضم- فتح- كسر.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

1- 2- 5 – 2 : الموسيقى الداخلية التي هي مؤثرات صوتية تنبثق من:

- عناصر بديعية لفظية(العمري، 2001، 9)، وهي كامنة في نسيج مكونات الآيات، وتقوي الاتساق بينها. ومن أهم تلك العناصر: الجناس، ومنه: عسير/ يسير، بشر/ عشر، عبس/ بسر. والسجع أو الفاصلة، وهي المصطلح المفضل في الاستعمال في القرآن، وهي "كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع" (الزركشي، د. ت، 1: 53)، وهي مكثفة في النص، وتأتي على تنوعات عدة، منها الالتزام بحرف واحد في الروي، مثل: المدثر/ أنذر/ كبّر / اهجر/ ، أسفر/ أدبر ، وغيرها. أما الأكثر فذاك النوع الذي يلتزم فيه قبل حرف الروي ما لا يلزم من مجيء حرف بعينه أو حرفين، ومنه ما يسمى (التجنيس التسجيعي) الذي يمتزج فيه المحسنان، (العمري، 152) مثل: عسير/ يسير / بشر/ عشر/ ، ومنه غيره: وحيدًا/ تمهيدا، ممدودًا/ شهودا، المصلين/ المسكين/ الخائضين/ الدين/ اليقين/ الشافعين/ معرضين، مستنفرة/ قسورة/ منشرة / تذكرة / المغفرة. وهناك اقتران السجع بالازدواج، أي توازن العبارتين وتساويهما في الوزن أو الطول (مطلوب، 60) أو التقارب في المساحة الزمنية الأفقية. كما في الآيات التي ابتدأ بها النص :{وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}. وهناك الالتفات، في {نَذِيرًا لِلْبَشَرِ}{لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ}، و{سَأُصْلِيهِ سَقَرَ} {وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ}، إذ حصل الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، وفيه تنويع في النغمة الموسيقية مما يثير نشاط السامع ويقظته (مطلوب، 173- 178). كذلك هناك ما يعرف بـ (ما لا يستحيل بالانعكاس)، وهو ذاك الكلام الذي إذا قلبته وابتدأت به من حرفه الأخير إلى حرفه الأول كان إياه (مطلوب، 581)، كما في قوله تعالى: {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}، فإن عكسنا (كبّر) صارت (ربك)، وكذا إن عكسنا (ربك) صارت (كبّر).

– الجرْس، وهو نغمة صوتية تتلاءم فيها حروف الكلمة وحركاتها، وتقع موقعها الجميل في السمع. (عبد النور،1984، 83)، فألفاظ النص تتميز – أولًا– بالجزالة، أي المتانة مع العذوبة في الفم واللذاذة في السمع(هلال، د. ت، 217)؛ لأن النص في التهديد والوعيد وما أشبه ذلك من المواقف، ومن ذلك الألفاظ الآتية: المدثّر– تستكثر– الناقور– ممدودًا– سأرهقه– لواحة– الكُبر– سلككم– قسورة– منشّرة. وتتميز – ثانيًا– بالسلاسة، أو سهولة النطق، (هلال،21)، التي أتت من جهات عدة، منها تلاؤم أصوات الكلمة في مخارجها، فلا تجد في النص كلمات يشق النطق بها، أو تحتاج إلى مجهود عضلي، كأن تتوالى المتحركات في الكلمة الواحدة، أو تتابع الأصوات المتماثلة تماثلًا مولدًا للثقل (أنيس، 1990: 236)، أو تكثر حروفها وتطول طولًا يخرج عن المعتاد، (هلال، 162)، فأكثر ألفاظ السورة لا تتجاوز أربعة أحرف.

وهذا التنوع في الإيقاعين الخارجي والداخلي لم يتمركز في نطاق محدود، بل توزع في فضاء الكلمة والجملة والنص عمومًا، ودون أن يؤدي إلى إبهام في المعنى، وهو توزّع إيجابي يبرز الإيقاع بشكل جلي، ويمدّ النص كله بالجمال والحيوية (العمري، 136). وزاد من إيجابية التوزع الإيقاعي: أن لكل مقطع موضوعي تقريبًا مقياسًا موسيقيًا زمنيًا؛ فمثلًا: المقطع الخاص بعناد الوليد من (ذرني إلى تسعة عشر)، ذو حركة إيقاعية سريعة تعبر عن الحسم والعزم في التهديد وإنجازه من الله سبحانه وتعالى، ويأتي بعده المقطع الطويل المتصل(وما جعلنا– للبشر) بحركة إيقاعية متراخية بطيئة تحاكي مواقف الأطراف المذكورة ونتائجها، ثم يستأنف الإيقاع السريع بعد ذلك إلى نهاية النص.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني: الانسجام النصي

إذا كان الاتساق يبحث عن وسائل الترابط الشكلي للنص، فإن الانسجام يدرس مدى تماسك البنية الدلالية للنص وترابطها. (قيّاس، 2009 ، 32) ، ولا يمكن دراسة هذه البنية إلا بدراسة وسائل الترابط الشكلي، وهذا يعني استحالة الفصل بين الاتساق والانسجام، ويمكن القول إن الانسجام أعم من الاتساق وأعمق منه (خطابي، 5 – 6). ويتحقق الانسجام بآليات عدة أو عناصر، أهمها:

2- 1 : **عنوان النص (المُدثِّر)**

يعد العنوان أهم عتبات النص بعد اسم المؤلف؛ لأنه يستجلب اهتمام المتلقي، ويدفعه إلى قراءة النص (الإدريسي، 2015، 68). ويُشار إلى "أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها؛ لأن اسم كل شيء تَظهَرُ المناسبة بينه وبين مسماه، عنوانه الدال إجمالًا على تفصيل ما فيه" (البقاعي، 1995 ، 1: 18– 19)، وعنوان النص (المدثر) توقيفي ثابت؛ إذ "أجمعوا على أن المدثر هو رسول الله صلى الله عليه وسلم" (الرازي، 30: 189)؛ لأنه: "لما بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي أتاه جبريل، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرير بين السماء والأرض كالنور المتلألئ، ففزع ووقع مغشيًا عليه، فلما أفاق دخل على خديجة، ودعا بماء، فصبه عليه، وقال: دثّروني دثّروني، فدثّروه بقطيفة، فقال: يأيها المدّثر، قم فأنذر" (الشوكاني، 1815). ولأجل هذا الثبات للعنوان، وكونه اسمًا رامزًا موحيًا بالموضوع؛ اكتسب الميزة التي تحققها العنوانات الثابتة للنصوص، وهي أنه "أداة إبراز لها قوة خاصة" (براون، 1998، 162) ، أي أن (المدثر) يضع الرسول أمام رسالته، ويحدد منهج الرسالة: الإنذار، وتوحيد الله، والصبر

على ذلك، خصوصًا إذا ما اقترن في الآية الاستفتاحية بالنداء، لتنضم سورة المدثر إلى عشر سور افتتحت بالنداء (الزركشي، 1: 178)، لتنبيه المنادى وجلب اهتماهه، وأيضًا إذا ما ربطنا هذا العنوان بالعلم بأن سورة المدثر مكية، أي أنها تهتم بمسألة العقيدة في المقام الأول. وتتجلى تلك القوة في تهيئة المتلقي لتفسير النص، واستحضار مضامينه ومقاصده، والمعرفة المتصلة به. وتلكم المكتسبات أو الوظائف متحققة في عنوان النص (المدثر)؛ إذ سيثير تساؤلات في ذهن القارئ، من قبيل: ما معنى المدثر، ومن هو، وما قصة التسمية، وما يراد منه، ونحو ذلك. ويتعضّد العنوان (المدثر) ويتكشف المراد منه بالفكرة الجوهرية التي أتت بعده مباشرة.

2 – 2 : **الفكرة الأساس للنص**

نعني بها التغريض أو المقصدية، وهي "ما يكمن ويحكم من معتقدات ومقاصد وأهداف فعلَ الكلام الصادر من متكلم إلى مخاطب في مقتضيات أحوال خاصة" (مفتاح، 2006، 193)، والتغريض من معايير النصية؛ لأنه يتضمن موقف منشئ النص، ويرسم مساره، ويوصله إلى غاية محددة. (دي بوجراند، 103). وفي النص القرآني عمومًا حضور قوي لسلطة المتكلم، وهو الله جل شأنه، ولمقصديته، فهو سبحانه الذي يحدد معاني كلامه الكريم سلفًا، وليس لنا، بصفتنا متلقين لنص إعجازي مقدس، أي دور في مسألة إضفاء دلالات وتأويلات على كلامه عزّ وجل، وقصارى الجهد أن نبحث عن تلك الدلالات لدى المفسرين، ونوظفها في عملنا هذا.

يتمحور التغريض في نص المدثر حول الفكرة الجوهرية التي ذكرت في الجملة المفتاحية المنطلق: "قم فأنذر"، فالإنذار هنا "إعلامهم بالتوحيد" (الشوكاني، 1815)، وما يأتي بعدها تفصيل وبيان لعمومها: "وربك فكبّر"

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أي "تكبير التقديس والتنزيه بخلع الأضداد والأنداد والأصنام، ولا يتخذ ربًا غيره ولا يعبد سواه" (الشوكاني، 1815)، وفي المقابل "الرجز فاهجر" فالرجز: "الأوثان" (الشوكاني، 1816)، كما فسره بذلك النبي عليه السلام(الجلالين، 575). ومن هنا يتضح لنا وجه من أوجه الإعجاز القرآني، وهو: "مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له، وذلك براعة الاستهلال" (السيوطي، 1986، 54). وسيتبيّن أن كل مقاطع النص أو موضوعاته تتضافر لجلاء هذه الفكرة.

2 – 3 : **الموضوعات الرئيسة**

إن النص بنية ذات مقاطع أو وحدات دلالية، وكل مقطع يمثل وحدة لأنه يتناول موضوعًا معينًا ، أو كل مقطع هو حديث عن شيء ما (براون،85). وقد تشكّل نص المدثر من موضوعات خمسة يعبر كل موضوع منها عن حدث أو فكرة معينة بذاتها، أو يجيب على ما يعبر عنه حدسًا بـ: عمّ نتحدث؟ (مانغونو،130)؛ بدلالة وحدة المخاطَب والفكرة في كل موضوع تقريبًا. ومع أنه لا يمكن أن يُفهم كل مقطع بمعزل عما قبله أو ما بعده، كما سيتضح لاحقًا، فإننا سنفصل بينها إجرائيًا؛ تسهيلًا للبحث.

الأولى: يأيها المدثر ⇐ غير يسير. وهو مقطع استهلالي جوهري؛ لأنه يحوي موضوع النص الرئيس، وهو: الصدع بالدعوة إلى التوحيد، والمثابرة عليها، اتقاء لعذاب الآخرة: "انهض فخوّف مكة وحذرهم العذاب إن لم يسلموا" (الشوكاني، 1815) . وتلاحظ أن بين الآيات (1– 7) انسجامًا نصيًا في الدلالة؛ إذ أتت في قالب تعاليم مباشرة من المرسل(الله سبحانه)، إلى المخاطَب (المدثر). ولا يتعارض مع هذا الانسجام آيتان كثرت حولهما التأويلات: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّر}{وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِر}؛ لأن الآية الأولى

فُسّرت، من ضمن ما فسرت به، تفسيرًا مجازيًا، وهو: "جسمك فطهّر من الذنوب" (الطبري، 23: 410)، ولا ذنب أعظم من الإشراك بالله، وأوّل (الطبري،23: 416- 471) الآية الأخرى: "لا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح. وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك في سياق آيات تقدم فيهن أمر الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم بالجد في الدعاء إليه، والصبر على ما يلقى من الأذى فيه، فهذه بأن تكون من أنواع تلك، أشبه منها بأن تكون من غيرها". أما الآيات(8- 10)، فإنها، وإن بدت استئنافًا لكلام جديد، ذات علاقة سببية نصية دلالية بما قبلها؛ فهي نتيجة لمتقدم؛ "كأنه قيل اصبر على أذاهم، فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أمرهم" (الشوكاني، 1816).

الثانية: ذرني ومن خلقت ⇐ سأصليه سقر. وتحدد المقطع استنادًا إلى رأي الطبري الآتي: "هذه الآيات أنزلت في الوليد بن المغيرة"، (23: 422) إضافة إلى أنها تشكل وحدة بنيوية، بمعنى أن وحداتها(هنا الآيات) تترتب داخليًا لتكون نظامًا لسانيًا (بوقرة، 2010، 94)، تتضمن الإخبار عن كفر الوليد وعناده، مع بيان العذاب المنتظر في الآخرة. وتفصيلها كالآتي: تشتمل الآيات (11- 15) على ذكر النعم الجزيلة التي حباه الله بها، والآيات (16- 25) تتضمن "كفرانه للنعم وإشراكه بالله" (الشوكاني، 1817)، حينما طعن في القرآن وقال إنه ليس من عند الله، بل هو "سحر يؤثر"؛ ليرضي مشركي مكة، مع أنه "اعترف لقومه بأن له حلاوة وعليه طلاوة" (الشوكاني، 1818)؛ ولذلك توعده الله بأن يدخله سقر.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الثالثة: وما أدراك ما سقر ⇐ يتأخر. ويصحّ أن يُطلق عليها: الوحدة الاستطرادية أو التفصيلية؛ لأنها تشتمل على استطرادين، الأول: التفصيل في (سقر)، إذ بيّن سبحانه أحوالها في ثلاث آيات متتابعات؛ لتعظيم شأنها وتهويل خطبها. (الشوكاني، 1819) . والآخر: التفصيل في (تسعة عشر)، فهم من الملائكة وليسوا بشرًا، كما يتوهم أبو جهل في قوله ساخرًا: "أما لمحمد من الأعوان إلا تسعة عشر، يخوفكم محمد بتسعة عشر، وأنتم الدَّهم، أفيعجز كل مائة رجل منكم أن يبطشوا بواحد منهم، ثم يخرجون من النار" (الشوكاني، 1819)، ثم جاء توضيح المقصد من هذا العدد، فهو (فتنة)، أي ضلالة ومحنة للكافرين والمنافقين، وهداية ويقينًا للمؤمنين وأهل الكتاب. (الشوكاني، 1820) . ويأتي بعد ذلك مقطع استئنافي أراه داخلًا في هذه الوحدة:{كَلاَّ وَالْقَمَرِ} إلى {لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ}؛لأن تتابع المقسم بهن (القمر والليل والصبح)، مع جواب القسم: "إنها لإحدى الكبر"، متعلق بسقر أو بهؤلاء التسعة عشر، لا فرق؛ فهم زبانيتها، والإحالة في (إنها) قابلة لأن تعود على أحدهما، كما ذُكر سابقًا، ثم إن الآيات التي بعد جواب القسم هي استرسال لأحوال المجرمين في (سقر).

الرابعة: كل نفس ⇐ اليقين. وهي وحدة حوارية سردية، تقص حدثًا استشرافيًا للمستقبل، تبدأ بتقرير الجزاء لأصحاب اليمين، وهم المؤمنون، ثم ذكر حوارهم مع المجرمين، الذي يبتدئ بسؤالهم لهم: "ما سلككم في سقر"، ثم يجيب المجرمون بأن ذنوبهم في الدنيا أودت بهم إلى النار، ولم يتوبوا حتى أتاهم اليقين، أي الموت. (الشوكاني، 1822).

الخامسة: فما تنفعهم ⇐ المغفرة. وهي أقرب إلى المقطع الحجاجي، وهو نشاط يتضمن أدلة تسعى إلى البرهنة على قضية ما (شارودو، 2009،

16)، ذلك أن الله سبحانه برهن فيها على استحقاقهم للعذاب، وفضحهم وردعهم وزجرهم، وفي ذلك كله تبكيت لهم وتحسير، قبل أن يختم سبحانه النص بالتأكيد على أن ذاته المتعالية هي أحق أن تُتقى لتُنال مغفرته.

وهكذا تنوعت الموضوعات أو المقاطع ما بين: الوصفي، والسردي، والحواري، والحجاجي، في انسجام تام جلي يطفو على سطح النص؛ فليس بين تلك المقاطع انفصام يستوجب تبرير موقع اللاحق بالسابق، أو يؤدي إلى الغموض وعدم الفهم والتصوّر الناجم من كون معنى المقطع اللاحق ليس متعلقًا أو مُرتَّبًا على معنى السابق. (القرطاجني، 2006، 177). وإن كان هناك نوع (تخلّص) من مقطع إلى آخر، فهو من التخلص الحسن البديع الذي يكثر في النص القرآني عمومًا؛ لأنه يشتمل على التوطئة للمقطع اللاحق (الزركشي، 1: 43) كما في (ذرني ومن خلقت...) الذي انتقل به الله سبحانه من التوصيف إلى النموذج. بل إن كل مقطع قد أسهم في تقدم الأحداث وتكامل القضية التي يدور حولها النص، من حيث إن هذا التنوع يحقق للنص سمة الاستيفاء والاستيعاب لعناصر الموضوع، وهي من دلائل البلاغة في نقدنا القديم.(ابن جعفر، 1978، 131) وهذا الانسجام يستمد النص منه كينونته، ويسهم في فهمه وتأويله، خصوصًا أن المتلقي يتوافر على معلومات حول النص وملابساته، أو على (سياق الموقف) الذي تتفاعل فيه المرتكزات والتوقعات والمعارف (دي بوجراند، 91)، مثل: (نزول الوحي- موقف الوليد بن المغيرة من القرآن- موقف أبي جهل وغيره من عدد الملائكة في سقر) . وهناك أمر آخر ساهم في إرساء الانسجام في النص، وهو ترتيب مقاطع النص زمنيًا، انطلاقًا من قاعدة: أن الأَولى أن يتقدم الحدثُ الذي وقع في الماضي الحدثَ الذي يحصل في الحاضر(خطابي،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

227)؛ يدل على ذلك أن المدثر أُمر بالتبليغ أولاً، ثم جاء موقف الوليد بعد ذلك، تلاه سخرية المشركين من عدد خزنة سقر، ثم انتقل المشهد إلى حدث لاحق مستقبلي، وهو اليوم الآخر لنطلع على الحوار الدائر بين الفريقين، وجاء المقطع الأخير ليبين في الزمن الأخروي نفسه السبب الذي أودى بالمجرمين إلى هذه النتيجة المأساوية، مع تعليق ختامي يتضمن نسبة الله سبحانه المشيئة وأهلية التقوى والمغفرة إلى ذاته العظيمة.

2 – 4 : العلاقات الدلالية الخاصة

ومع تلك المقومات الموضوعية العامة، نرصد مقومات داخل الموضوع نفسه تعضد من عملية الانسجام، وهي مكونات المنطق الحجاجي (شارودو، 21)، أو هي (الترابطات المفهومية) التي يشتمل عيها المعنى الدلالي للنص، (دي بوجراند، 99)، وجاءت على وفق الآتي:

2 – 4– 1 : التقابلية: ويقصد بها الثنائيات المتضادة التي ترد في النص، لا على مستوى علاقة التضام المعجمية الضيقة التي سبق بيانها، وإنما تتجاوزها إلى مستوى أشمل يقيم تقابلًا بين صورتين أو وضعيتين متخالفتين. ومنها الثنائية الكبرى: التوحيد / الشرك، أو الإيمان / الكفر، التي أفرزت دوالًا ثنائية صغرى: المؤمنون / الكافرون، الارتياب / اليقين، الضلال / الهداية، الجنة / النار(سقر)، أصحاب اليمين / المجرمين. كما تجسّدت الثنائية الكبرى في ثنائيات حالية متقابلة، وهي: حاضر الوليد بن المغيرة / ومستقبله يوم القيامة، وجرت الثنائية في سياق سردي متوال. وهناك ثنائية معاكسة للسابقة: مستقبل المجرمين في سقر / وماضيهم في الدنيا. إذن هذه التقابلات وردت في سياق الموازنة بين وضعيتين واقعيتين أو متخيلتين، والمقارنة بينهما، بتقنيات الوصف والسرد؛ مما جعلها أسلوبًا

من أساليب الحجاج الهادفة إلى توضيح القضية أو الفكرة الرئيسة للنص وتعميقها، ومن ثم إقناع المخاطب والتأثير فيه، (شارودو، 61).

2 – 4– 2 : السبب والنتيجة: ربط منطقي يعتمد علاقة السببية في الجمع بين عنصرين متتابعين. والآيات التي تحكمها هذه العلاقة كثيرة، منها:

– ما يسبق السبب فيه النتيجة، كما في: "وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة ليستيقن... ويزداد... وليقول..." فهذه الأفعال المتوالية متعلقة بـ (جعلنا)؛ أي إنّ جَعْلَنَا لِعَدد خزنة النار تسعة عشر كان سببًا وامتحانًا يكشف وقع ذلك أو نتيجته في نفوس المؤمنين والكافرين، وغيرهم من الأطراف المذكورة في الآية (الشوكاني، 1820). كذلك سبق السبب النتيجة في:{وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا}{وَبَنِينَ شُهُودًا} {وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا}، ذلك أن التمهيد حصل "من المال والولد" (الطبري، 23: 425)؛ هو إذن، حسبما يُفهم من تفسير الطبري، نتيجة تلقائية لحصولهما.

– ما تسبق النتيجة فيه السبب، مثل: {وَلِرَبِّكَ فَاصْبِر}{فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ}{فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِير}{عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِير}. فالفاء في (فإذا) "سببية، كأنه قيل: "اصبر على أذاهم، فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أمرهم" (الشوكاني، 1816)، ومثل أيضًا: {بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً} {كَلاَّ بَل لاَ يَخَافُونَ الآخِرَةَ}؛ "لأنهم لو خافوا الآخرة لما اقترحوا الآيات" (الشوكاني، 1822).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

– ما يأتي مركبًا على شكل متوالية: سبب تتلوه نتيجة، يعقبها سبب تعقبه نتيجة، وهكذا، فالسبب {...إنه كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا}"، كانت نتيجته: {سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا}، فـ (صعودا) "مثل لما يلقاه من العذاب الصعب الذي لا يطاق، وقيل المعنى: أنه يكلف أن يصعد جبلًا من نار" (الشوكاني، 1817) . وتبعتها أسباب مفصلة لذلك العناد، في شكل متواليات حالية أو وصفية منظمة، وهي أسباب استحق لأجلها النتيجة الرديفة للسابقة: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ}، وسقر من دركات النار. وفي مقطع حواري تالٍ حصل العكس: تعاقب بين النتيجة والسبب؛ إذ جاءت النتيجة أولًا في تقنية حوار مستهل بصيغة السؤال على لسان المؤمنين: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ}، ثم أفاض المجرمون أنفسهم في التعليل: {قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ}{وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ}{وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}{وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ}{حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينَ}. وعلّق سبحانه بقوله الكريم الآتي المتضمن نتيجة أخرى أشد وأنكى في هذا السياق تقنطهم من رحمة الله: {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}؛ أي "من الملائكة والأنبياء والصالحين" (الجلالين،577)، أعقبها بسبب مجمل يتضمن الأسباب السابقة:{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ}؛ أي "أي شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاتعاظ" (الجلالين، 577)، كأن عدم نفع الشفاعة فيهم ناتج عن إعراضهم عن القرآن .

– ما تأتي في أسلوب الشرط، وهو أسلوب منطقي؛ إذ يرتبط فيه السبب (الشرط) بالنتيجة (الجزاء)، وأداته هنا (إذا) التي تعبر عن حدث أو حالة ممكنة وقابلة للتحقيق، وإن كان زمن التحقيق بعيدًا (العجمي، 455)، كما في:{فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ}{فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ}؛ فالمراد هنا "النفخ في الصور" (الشوكاني، 1816).

2 – 4– 3 : التعميم والتخصيص. ويمثل التعميم – أولًا– عنوان النص (المدثر)؛ إذ يمكن أن يكون قد ورد بصيغة العموم، في حين أن مقاطع النص تخصيص له. وثانيًا: آيات وألفاظ تنبئ عن أن الخطاب غير موجه لشخص بعينه، بل إلى الناس قاطبة، من أمثلته: {نَذِيرًا لِلْبَشَرِ}، أي "أن الإنذار قد حصل لكل من آمن وكفر" (الشوكاني، 1821)، أو إلى فئة معينة، كما تدل الألفاظ الآتية: (الكافرين– أوتوا الكتاب– المؤمنون– الذين في قلوبهم مرض– المصلين– الخائضين– الشافعين)، وغيرها مما لم يُنصّ فيها على أحد بذاته.

أما التخصيص فعلى أوجه عدة:

– تخصيص حالة تعطي نماذج عليا على الإيمان أو الكفر، كتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم– وهو خير من يمثل الخُلُق الكريم والإيمان العظيم– بأمر النذارة، {قُمْ فَأَنذِرِ}، أي "انهض فخوّف أهل مكة وحذرهم العذاب إن لم يسلموا" (الشوكاني، 1815)، وتخصيص الوليد بن المغيرة المخزومي بالذكر في مقطع كامل؛ لأنه "إنما خص بالذكر لمزيد كفره، وعظيم جحوده لنعم الله" (الشوكاني، 1817).

– تخصيص أسلوبي، يتمثل في أسلوب القصر بصوره المتعددة التي تستظهر عناصر الإحالة في النص ومقصده، ومنها تقديم ما حقه التأخير لغرض بلاغي، كتقديم المفعول به على الفعل في قوله تعالى: {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}، أي "واختص سيدك ومالكك ومصلح أمورك بالتكبير" (الشوكاني، 1815)، وقوله:{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}، وخص الثوب "لأن تقصير الثوب أبعد من النجاسات إذا انجر على الأرض". (الشوكاني، 1816)، وقوله:{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}، أي الشرك وعبادة الأوثان "لأنها سبب الرجز" وهو العذاب. (الشوكاني،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

1816)، وكذلك تقديم الجار والمجرور في: {عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ}، وهذا "تأكيد لعسره عليهم" (الشوكاني، 1816)، أي مقصور على الكافرين، لا غير. وهناك صورة القصر بالنفي والاستثناء، التي ابتدأت مع نهاية المقطع الثاني، ويتمثل بهذه الخطاطة:

أداة نفي + مقصور + أداة استثناء + مقصور عليه.

ويأتي من نوع قصر الموصوف على صفة، كما في: {فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ}، أي ما القرآن إلا سحر "يأثره عن غيره، ويرويه عنه" (الشوكاني، 1816)، وكذلك القول الآخر المؤكد له: {إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ}، وأيضًا:{وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً}، فخص الله الملائكة من دون المخلوقات لأنهم "أشدهم بأسًا، وأقواهم بطشًا" (الشوكاني، 1819)، أما كونهم فتنة، فلأنهم "ضلالة للذين استقلوا عددهم، ومحنة لهم" (الشوكاني، 1819)، و {... وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ}، أي ما سقر وخزنتها إلا "تذكرة للبشر ليعلموا كمال قدرة الله، وأنه لا يحتاج إلى أعوان وأنصار" (الشوكاني ،1820). وقد يأتي من النوع الآخر: قصر الصفة على الموصوف، كما في: {... وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ...}، "أي ما يعلم عدد خلقه، ومقدار جموعه من الملائكة، وغيرهم إلا هو وحده". (الشوكاني، 1820). إذن صفة العلم صفة خاصة بالله وحده. وفي: {وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ...}، ذلك أن صفة الذكرى والهدى موقوفة على مشيئة الله. (الشوكاني، 1822).

وورد القصر بتقنية الاستثناء دون نفي في آية واحدة، وفيها يمتزج التخصيص بالتعميم، جريًا على عادة الأسلوب القرآني في تحري الدقة والعدل، المتمثل في عدم التعميم على الكل، وهي: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ

رَهِينَة}{إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِين}، وهم المؤمنون أو غيرهم، أي "أنهم لا يرتهنون بذنوبهم، بل يفكون بما أحسنوا من أعمالهم". (الشوكاني، 1821).

2 – 4– 4: الإجمال والتفصيل، تنبثق آيات تفصيلية أو جزئية عدة من آية مجملة، بما يمكننا من القول: إن كثيرًا من مقاطع المدثر تنطبق عليها تلك القاعدة الخاصة بالسور أو النصوص القرآنية عمومًا، وهي "أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناب لإيجازه"،(السيوطي، 65). وتأتي حالات الإجمال والتفصيل على وفق الآتي:

– الجملة الفعلية الأولى: {قُمْ فَأَنذِر} جملة مجملة، وما أتى بعدها تفصيل لها، استنادًا إلى قاعدة عامة، وهي أن: "الجملة الأولى في أي نص تمثل معلمًا عليه يقوم اللاحق منها ويعود" (الزناد، 67).

– البنى السائدة في الإجمال والتفصيل في القرآن عمومًا هي البنية الثنائية والبنية المتعددة (القرعان، 1994). وفي نص المدثر تسود البنية المتعددة التي تتحرك من خلال سوق ثلاثة عناصر أو أكثر في التفصيل، كما في قوله تعالى: {كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا}، ثم بيّن سبحانه عناصر بنية الإجمال، فقال: {إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّر} إلى قوله: {إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَر}، وهي عناصر منسجمة مع بعضها، لا تنافر بينها أو مفارقة. وكما في قوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَر}، وفصل في الآيات اللاحقة:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَر}{لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَر}{لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَر}{عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَر}، وفي الآية التالية:{وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً ... الآية} تفصيل حول المجمل الوارد في الآية السابقة عليها: (تسعة عشر): فكأنها جواب لمن هم؟ ويحتمل حضور الإجمال في قوله (فتنة) في الآية نفسها ؛ فما بعدها ذكر لنوعيات المفتتنين من مؤمنين وكافرين وأشباههم . كذلك هناك تفصيل أخير للمجمل: {مَا

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

سَلَكَكُمْ فِي سَقَر}، إذ بين المجرمون أسباب دخولهم النار: {قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّين}{وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِين}{وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِين}{وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّين}{حَتَّى أَتَانَا الْيَقِين}.

– قد يأتي المجمل بعد التفصيل، كما في إحدى تأويلات: {وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا}، ذلك أن التمهيد معناه "بسطت له في العيش وطول العمر والرياسة في قريش" (الشوكاني، 1817)، وما سبق من أحوال يؤكد هذا: خَلَقْتُ وَحِيدًا– جَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا– وبَنِينَ شُهُودًا. واجتماع نعمتي المال والجاه "هو الكمال عند أهل الدنيا"(الرازي، 30 : 199). وهذه العلاقة الارتدادية: من التفصيل إلى الإجمال تضفي على النص زيادة في الحيوية، بكسرها حدة الوتيرة الواحدة .

– قد يُبهم المجمل، ويُفصل بينه وبين ما يزيل إبهامه بآيات، كما في: {إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّر}{فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّر}{ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّر}، فـ (كيف) تعني "على أي حال قدر ما قدر من الكلام" (الشوكاني، 1817)، وجاءت الآية بعدها لتوضيح كيفية هذا التقدير.

2 – 4– 5 : إعادة الصياغة، ويقصد بها في اللسانيات النصية "تحويل وحدة خطابية ذات طول متغير إلى وحدة أخرى يفترض أنها متساوية من حيث الدلالة، بشكل من الأشكال" (مانغونو، 107). ومن أشكالها:

– التمثيل أو التشبيه التمثيلي، وهو "كل تشبيه كان وجه الشبه فيه عقليًا مفردًا أو مركبًا غير حقيقي ومحتاجًا في تحصيله إلى تأوّل" (مطلوب، 333). وقد ورد التمثيل مرة واحدة، في: {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ

مُعْرِضِين}{كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَة}{فَرَّتْ مِن قَسْوَرَة}. فهاهنا "شبههم في نفورهم عن القرآن بالحمر" التي فرت من الرماة أو الأسد (الشوكاني، 1822)، أو أن "هؤلاء المشركين إذا رأوا محمدًا صلى الله عليه وسلم هربوا منه، كما يهرب الحمار من الأسد" (الرازي، 30: 212). فهنا جاء التمثيل في أعقاب المعنى المجرد، فأكسبه أبهة وجمالًا، ولأنه جاء في سياق الذم "كان مسّه أوجع، وميسمه ألذع، ووقعه أشد، وحدّه أحدّ" (الجرجاني، د.ت، 93)، وفي سياق الحجاج أيضًا، فـ "كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر" (الجرجاني، د.ت ، 94).

– التكرار المعنوي، الذي ورد مرتين، الأولى: قد قيل إن الجملة {سَأُصْلِيهِ سَقَر} "بدل من قوله{سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا}"(شوكاني،1818) وما البدل في حقيقته إلا تكرار معنوي، وجاء هنا التكرار تأكيدًا لنقمته سبحانه على الوليد، واستحقاقه للعذاب. وقوى الانسجام هنا أن الآيتين الأولى المؤكَّدة {سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا} والأخرى المؤكِّدة {سَأُصْلِيهِ سَقَر} هما نتيجة لموقف الوليد من القرآن الكريم، وما بينهما آيات تضمنت التفصيل في هذا الموقف. والأخرى: بين (عسير) و(غير يسير)، في:{فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُور}{فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِير}{عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِير}، وهذا التكرار لا يعني خلو العنصر المكرر من دلالات إضافية، إذ يكون لأغراض بلاغية، كالتأكيد في المثال الأول، والمبالغة في التنكيل في الآخر؛ يقول الرازي: "فقوله عسير يفيد أصل العسر الشامل للمؤمنين والكافرين، وقوله غير يسير يفيد الزيادة التي يختص بها الكافر، لأن العسر قد يكون عسرًا ، قليلًا يسيرا، وقد يكون عسرًا كثيرًا، فأثبت أصل العسر للكل، وأثبت العسر بصفة الكثرة والقوة للكافرين" (30: 198)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الخاتمة

وهكذا أجاب البحث على أسئلته المطروحة في بدئه، ويمكن تلخيص الإجابات في النتائج العامة الآتية:

1 – تبيّن لنا أن النص القرآني الكريم (المدثر) نص له بداية ووسط ونهاية، قام على التفاعل الظاهر بين أطراف القضية، وهو تفاعل أسهم بقوة في بناء النص ونموه بشكل درامي.

2 – اتضح تحقق الاتساق النصي في مستوييه الرئيسين: الاتساق المعجمي والاتساق النحوي، وسبب ذلك توافر العناصر في المستويين بصورة مكثفة، وعلى امتداد مساحة النص.

3– كذلك تبيّن لنا تحقق الانسجام النصي. وسبب هذا التحقق: العنوان (المدثر) الذي ساعدنا في كشف عن مضامين النص ومقاصده. والفكرة الجوهرية للنص التي رسمت لنا، منذ البدء، مسار النص وهدفه. والموضوعات الرئيسة في النص التي جاءت متنوعة متكاملة، ومسهمة في نمو النص وتقدم أحداثه. إضافة إلى العلاقات الدلالية الخاصة، التي هي مقومات منطقية حجاجية داخل الموضوعات الرئيسة نفسها.

4– توصل البحث إلى أن تجليات الاتساق والانسجام النصي بلغت مدى بعيدًا في نص (المدثر)، أثر تأثيرًا كبيرًا على استيعاب المتلقي للبنية السطحية والعميقة للنص، ولذلك نستطيع القول: إن السمات النصية في بعديها الشكلي(الاتساقي) والدلالي (الانسجامي)، وعلى وفق التحليل النصي (اللساني) المعاصر، قد تحققت تحققًا واضحًا وكافيًا لوصف سورة المدثر بالنصية. ويمكن أن يشار هنا إلى أن دراسة اتساق النص القرآني(المدثر) وانسجامه، قد أكدت وجهًا من أوجه إعجاز القرآن الكريم، لم يكن البحث يهدف إلى بيانه مباشرة، وهو بديع نظم القرآن الكريم وتأليفه، الذي أُشير إليه في مقدمة البحث، على الرغم من تنوع موضوعاته وأفكاره.

المراجع والمصادر

القرآن الكريم

- الأخفش، سعيد بن مسعدة. معاني القرآن. تحقيق: عبد الأمير الورد. بيروت: عالم الكتب، 2003.
- الإدريسي، يوسف. عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2015.
- أنيس، إبراهيم. الأصوات اللغوية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1990.
- البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. جزء 1. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، 1984.
- بورد، منير. "الاتساق والانسجام في النص القرآني، الآيات 260- 265 نموذجًا" . المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، الإصدار 15، 2020.
- بو قرة، نعمان. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب. إربد: عالم الكتب الحديث، عمان: جدارا للكتاب العالمي، 2010.
- الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة في علم البيان. تصحيح: السيد محمد رشيد رضا. بيروت: دار المعرفة، د. ت.
- الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود شاكر. جدة: دار المدني، 1992.
- ابن جعفر، قدامة. نقد الشعر. تحقيق: كمال مصطفى. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1978.
- الجلالين، جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي. تفسير الجلالين. بيروت: دار الجيل، 1995.
- ج. ب، براون، ج، يول. تحليل الخطاب. ترجمة: محمد الزليطني ومنير التريكي. الرياض: جامعة الملك سعود، 1998.

- الجنابي، أسيل متعب. "الاتساق في سورة الرحمن: دراسة في ضوء لسانيات النص". مجلة آداب المستنصرية، ع 65، 2014.
- حسان، تمّام. اللغة العربية معناها ومبناها. القاهرة: عالم الكتب، 2009.
- حسن، عباس. النحو الوافي. مصر: دار المعارف، د. ت.
- خطابي، محمد. لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1991.
- خليل، إبراهيم. الأسلوبية ونظرية النص. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997.
- دي بوجراند، روبرت. النص والخطاب والإجراء. ترجمة: تمام حسان. القاهرة: عالم الكتب، 1998.
- الرازي، الفخر. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. جزء 30. القاهرة: دار الفكر، 1981.
- ريتشاردز، آيفور آرمسترونج. مبادئ النقد الأدبي. ترجمة: محمد مصطفى بدوي. القاهرة: وزارة الثقافة. 2002.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار التراث، د. ت.
- الزناد، الأزهر. نسيج النص. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1993 .
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997.
- السيوطي، جلال الدين. تناسق الدرر في تناسب السور. دراسة وتحقيق: عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، 1986.
- شارودو، باتريك. الحجاج بين النظرية والأسلوب. ترجمة: أحمد الوردني. بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2009.

- الشوكاني، محمد بن علي. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. الرياض: مكتبة الرشد، 2012.
- الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. جزء 23، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي. القاهرة: هجر للطباعة والنشر، 2001.
- عبد الكريم، جمعان.. إشكالات النص، دراسة لسانية نصية. الرياض: النادي الأدبي بالرياض. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. 2009.
- عبد النور، جبور. المعجم الأدبي. بيروت: دار العلم للملايين، 1984.
- العجمي، فالح. أسس اللغة العربية الفصحى. الرياض: كرسي الدكتور عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية، 2016.
- العمري، محمد. الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية. الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 2001.
- عفيفي، أحمد. نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي. القاهرة: مكتبة زهرة الشرق، 2001.
- القرطاجني، حازم. منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تحقيق: الحبيب بن الخوجة. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986.
- القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان. جزء 21، تحقيق: عبدالله عبد المحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2006.
- القرعان، فايز."الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم". مجلة أبحاث اليرموك، مجلد 12، العدد 1، 1994.
- ليندة، قياس. لسانيات النص، النظرية والتطبيق، مقامات الهمذاني أنموذجًا. القاهرة: مكتبة الآداب، 2009.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- مارتان، روبير. مدخل لفهم اللّسانيات. ترجمة: عبد القادر المهيري. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2007.
- مانغونو، دومينيك. المصطلحات المفتاح لتحليل الخطاب. ترجمة: محمد حياتن. الجزائر: منشورات الاختلاف، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008.
- مصدق، محمد الأمين. التماسك النصي من خلال الإحالة والحذف، دراسة تطبيقية على سورة البقرة. الجزائر: جامعة الحاج لخضر باتنة، 2015.
- مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. بيروت: مكتبة لبنان، 2000.
- مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري. المغرب: المركز الثقافي العربي، 2005.
- مفتاح، محمد. دينامية النص. المغرب: المركز الثقافي العربي، 2006.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب المُحيط. إعداد وتصنيف: يوسف خيّاط ونديم مرْعشْلي. بيروت: دراسات لسان العرب، 1993.
- هلال، ماهر. جرْس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب. بغداد: دار الحرية، د. ت.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١-	ملخص	٨٠٧٥
٢-	Abstract	٨٠٧٦
٣-	أهداف البحث	٨٠٧٧
٤-	أسئلة البحث	٨٠٧٧
٥-	منهج البحث	٨٠٧٧
٦-	أهمية الموضوع	٨٠٧٩
٧-	خطة البحث	٨٠٧٩
٨-	تمهيد	٨٠٨١
٩-	المبحث الأول: الاتساق النصي	٨٠٨٢
١٠-	المبحث الثاني: الانسجام النصي	٨١٠٨
١١-	الخاتمة	٨١٢٢
١٢-	المراجع والمصادر	٨١٢٣
١٣-	فهرس الموضوعات	٨١٢٧